نيافة المطران هيرومونك جريجوري

المطران "ماتروسوف" هو رئيس مجلس خبراء البطريرك للعلاقات الإسلامية. وهو أيضا عضو في قسم العلاقات بين المسيحيين.

نيافة المطران هيرومونك جريجوري

بدايةً، اسمحوا لي أن أنقل لكم رسالة قداسة البطريرك كيريل، بطريرك موسكو وسائر روسيا جميعها إلى المنظمين والمشاركين والضيوف في هذا المؤتمر العالمي للأخوة الإنسانية.

أعزائي المشاركين في المؤتمر، أتقدم بأطيب التحية إلى كل من اجتمع معنا اليوم في عاصمة دولة الإمارات لمناقشة الشؤون الملحة والقضايا الهامة في سياق التعاون بين الأديان. ولا شك في أن فكرة تنظيم هذا الملتقى العالمي بحد ذاتها تستحق منا كامل الدعم نظراً لأهمية العامل الديني في فهم أهمية التواصل والتفاعل بين ممثلي الأديان المتنوعة، وهي علامة على نضج المجتمع.

من المحزن بالفعل أن نرى اليوم ثلة من الأشخاص معدومي المبادئ ممن يستغلّون الدين ويتلاعبون بالضمير العام، حيث يعزفون على وتر الدين ويتحدثون باسمه لتبرير الأعمال الإرهابية أو تحقيق الغايات السياسية. وهذا مثال واضح على الخطايا التي يجب أن يدينها القادة الدينيون وكافة الشعوب ذات الإرادة الحرة، إدانة كاملة ومطلقة.

أدت أعمال المتطرفين الذين يستخدمون الشعارات الدينية كغطاء لهم، والصراعات من أجل المصالح السياسية في دول مختلفة، إلى التأثير بشكل خاص على دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. فقد تعرضت العديد من الأقليات الدينية والعرقية في دول متعددة لإبادة حقيقية.

أدت تلك الأعمال إلى إلحاق أضرار كبيرة بالمسيحيين هناك فقد دمرت مئات الكنائس وفقدت الكثير من الأسر حياتها ومنازلها، واضطرت أعداد هائلة من الناس لمغادرة أوطانهم بسبب عدم وجود بوادر تطمئنهم بحلول السلام في المستقبل القريب.

وتتجه الأنظار إلينا، نحن ممثلو الأديان جميعاً، للمساعدة وتخفيف معاناة السكان في سوريا والعراق وغيرها من الدول التي أحرقتها نيران الحروب، وعلينا لذلك أن نؤكد التزامنا تجاه المبادئ الأخلاقية التي خلقنا عليها، وهي مبادئ المحبة والسلام والأخوة والرحمة وحسن الجوار.

أتمنى لكم نقاشات مثمرة واجتماعات أخوية مفيدة لكافة المشاركين في المؤتمر.

- كيريل، بطريرك موسكو وسائر روسيا

وهنا اسمحوا لي أن أتحدث عن موضوع المؤتمر بكلمة قصيرة ترتبط بالتفاعل والانسجام والتعاون بين المسيحيين والمسلمين.

قبل حوالي 700 عام فكّر القديس الروسي سركيس أن المهمة الأبرز للبشرية يمكن أن تتمثل في التغلب على العداء والكراهية في العالم. وازدادت أهمية تلك المهمة وارتباطها بالبشرية مع انتقال ذلك البغض والعداء من العداء الشخصي إلى عداوات بين الشعوب والدول والأقاليم.

يكمن دور النخب الدينية في تولي هذه المهمة في الحفاظ على البشرية وعلى تطورها وتقدمها في عالم يحفّه السلام، وهو دور لا ينبغي التقليل من أهميته البالغة. يحتل الإسلام والمسيحية المكانة الأولى بين النهب الدينية، وقد تطور كلاهما على امتداد فترات طويلة ليتحولا في المجتمع المعاصر إلى عناصر تحدد العوامل السياسية والجغرافية. نرى أن الأنشطة التجارية والتفاعل بين النخب هو الضمانة الأبرز للتغلب على العداء والكراهية الذي يسود عالمنا بشكل واضح.

ولا يمكن أن تقوم الأسس الروحانية لتلك الجهود إلا بالتوجيهات الحكيمة في القرآن الكريم والإنجيل. ففي القرآن الكريم يقول الله: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

وفي الإنجيل نقرأ: "أحب جارك كما تحب نفسك"، فمن هو جاري؟ إنه ذلك الذي يقطن بجانبك، وذلك الذي يحتاج إلى مساعدتك. هذه ليست نظرية، فقداسة البطريرك كريل، بطريرك روسيا، يؤكد على التجربة الفريدة في روسيا والتي لم تقتصر فقط على التعايش بل شهدت التعاون بين المسلمين والمسيحيين بأكثر الطرق ودية وسلماً.

ومن المؤسف أن أثر تلك العلاقة مجهول خارج بلادنا، وهذا يفسّر قيام قداسة البطريرك كيريل مؤخراً بتأسيس المجلس البطريركي المختص بالعلاقات الإسلامية، والذي يهدف إلى التعريف بالتجربة الروسية، وبالطبع إلى تعزيز التعاون الاجتماعي والإنساني بين المسيحيين والمسلمين، وقد تشرفت بتعييني رئيساً لهذا المجلس.

لا يزال المجلس في مراحل عمله الأولى، ولكنني آمل بأنه سيتمكن قريباً من العمل بأقصى طاقاته، وأتمنى حينها أن يستمر تعاوننا المشترك بشكل دائم. وسيكون التعرّف إلى تجربتنا الروسية وزيارة روسيا وأقاليمها المختلفة أمراً مفيداً وممتعاً للكثير منكم، ونتطلع إلى ذلك بالفعل. فنحن نؤمن بأهميته وسندعوكم للزيارة وننتظر حضوركم.

أتمنى النجاح للمؤتمر والمشاركين، وأدعو القدير أن يبارك جهودنا في هذه المهمة الصعبة التي نضطلع بها.

شكراً لاهتمامكم.